

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الرابع	تونس في شهر ذي الحجة ١٣٥٩ وفي جانفي ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير .

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع | فهرس العدد | الجزء الرابع

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الرابع	تونس في شهر ذي الحجة ١٣٥٩ وفي جانفي ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣١٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

القرآن الكريم

سورة قد افلح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾

ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا شرح صدره للايمان واستعمل جوارحه فيما يرضي الملك الديان والسعيد من اهتدى بهدي القرءان ونشطت اعضاؤه للعمل بما جاء بـه الاسلام فحق بعد ذلك ان يوسم بالفلاح ويعد من اهل الايمان والنجاح

والفلاح اسم للفوز والبقاء والنجاة والمصدر الافلاح قال شاعرهم : ولكن ليس للدنيا فلاح * اي ليس لها بقاء وقول المؤذن : حي على الفلاح اي اقبل ايها الانسان على النجاة باداء ركن الاسلام وهو الصلاة فقوله تعالى قد افلح المؤمنون اي قد دخلوا في النجاة او صاروا ناجين وظفروا بالمراد وقد لتثبيت الامر المتوقع والمؤمنون يتوقعون من الله البشارة بنجاتهم وفوزهم فبشرهم الله تعالى بما دل على ثبات ما يتوقعونه المستفاد ذلك الثبات من قد والمؤمنون جمع مؤمن والمؤمن هو الذي آمن وصدق بالله ربا وبمحمد نبيا وبالملائكة والكتب المنزلة وباليوم الآخر فالايمان هو التصديق والعبد المؤمن هو المصدق بما جاء به رسول الله وعلم ضرورة انه من دين الاسلام .

وقد جاءت الآية الكريمة على صيغة الاخبار متضمنة للوعد بذلك الفلاح في العاجل والآجل ولثواب الآخرة أعظم وأبقى .

ولما كانت صفة الايمان يشترك فيها البر والفاجر والطائع والعاصي فهي تقال عليهم بالتشكيك بحسب ما تظهر على المؤمنين من آثار الايمان وما يقومون به من واجبات الاسلام وما يتحلون به من شريف المناقب وكريم الصفات بين الله للناس أي المقامات اعلى وأشرف وأي الصفات التي ينال بها العباد رضاء الله فيشمله سبحانه بمثوبته ويورثه الفردوس من جنته .

فذكر سبحانه لذلك ست صفات من تحلى بها كان هو المؤمن الكامل الذي ينتفع بايمانه اعظم انتفاع وحسبك من المؤمن الصالح ما يظهر عليه من الآثار في نفسه اولا وفي عشيرته ثانيا وفي المجتمع

الذي يبلغه آثار ايمانه ان ضيقا وان متسعا . فان مثل ايمان احدكم كشجرة يانعة بقدر ما يرعاها صاحبها تنمو وتزكو ويعظم الانتفاع بها . فان هو بالغ في حضيها ورعايتها نمت واعطت اكلها كل حين وانتفع بها القاصي والداني وبلغت ثمرتها أطراف المعمورة . وان هو قصر ضعف انتاجها حتى يكاد لا يتعدى سواه . وان هو اهملها منعته خيراتها ولم يرزق من ثمارها وما بقي له الا ظلها يستظله ويتقي بها عين الشمس ولربما مسه شظا من فيحها فيرديه لو كان يعلم .

فليتق الله فيما انعم به عليه وكيف يرضى العاقل من امره بالدون ويبوء بالنقيصة ولا يكون من عباد الرحمن الذين وصفهم بقوله : قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . وهذه هي الصفة الاولى التي بها الفلاح وبيان هذه الصفة يستدعى الكلام على الصلاة ومشروعيتها وصفاتها التي من بينها الخشوع فنقول :

الصلاة كلمة عربية استعملها العرب قبل الاسلام بمعنى الدعاء والاستغفار والعبادة واطلقت في الشرع على العبادة المخصوصة فهي اما من قبيل المشترك او من قبيل الحقيقة والمجاز الذي صار بعد حقيقة شرعية ورجح شيخنا سيدي محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله في دورس التفسير التي حضرناها عليه ادام الله النفع به انها تستعمل في اللسان العربي بمعنى العبادة بكيفية مخصوصة (١) وانشد عليه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وعليه فاطلاق الصلاة على العبادة المخصوصة في الاسلام المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم يكون ذلك تخصيصا للفظ ببعض مدلولاته يعني بذلك خصوص العبادة التي جاء بها الاسلام دون غيرها من العبادات التي عرفها العرب وهذا هو الاوجه في تفسير الصلاة

ولا التفات الى من قال لم يكن للعرب صلاة معروفة الا ما كانوا يدعون به الله عند التلبية والا ما اخبر به القرءان في قوله تعالى : وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية . والمكاء - الصفير والتصدية التصفيق . فان العرب كغيرهم من اهل الملل عرفت العبادة بالصلاة من شريعة ابراهيم ومن شريعة موسى وعيسى عليهم السلام والبيت الآنف الذكر يدل على ذلك

وربما اطلقوا اسم الصلاة على الطواف . ويكون نعي القرءان عليهم في قوله تعالى وما كانت صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية . لبيان ان هذا الطواف الذي هم عليه ليس هو العبادة المشروعة التي جاء بها ابراهيم عليه السلام . قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون . فطوافهم الذي حسبوه عبادة هو في الحقيقة ليس من العبادة في شيء

فالذين يقولون انها حقيقة شرعية في العبادة المخصوصة فهم لا ينكرون استعمالها في لسان العرب في العبادة وما استعمالها في الطواف الا من هذا القبيل والاستعمال مسبوق بالوضع الا ان علماء الشرع غلب استعمالهم لها في الصلوات المشروعة في الاسلام بكيفيتها الخاصة حتى اذا اطلقت لا تنصرف الى غيرها كما هو الشان في الحقائق العرفية على ما قرره القرا في رحمه الله

(١) أصل ما رجحه شيخنا لابن فارس قاله في كتابه الصاحبي

واما مشروعية الصلاة في الاسلام فانهـا وقعت في اول ما شرع من الدين وقد روى جماعة من اهل العلم فيما حكاه ابن حجر انه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة الا ما كان وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد

ونقل عن الحربي ان الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وذلك قوله تعالى : وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار . وقد روي ان عبادة الليل كانت قاصرة على ترتيل القرءان ومما يدل على مشروعية الصلاة قبل الاسراء

ما ورد من صلاته صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وتحرج قريش من ذلك واخفائه صلى الله عليه وسلم صلاته عنهم اولا الى ان اسلم عمر وصلاة ابي بكر وغيره من الصحابة وما تحملوه من اذاية قريش لهم وصدهم عن الصلاة بالمسجد الحرام وبناء ابي بكر مسجدا بفناء داره ليصلي فيه

اما الصلوات الخمس فقد فرضت ليلة الاسراء والاسراء وقع قبل الهجرة بسنة وبه جزم ابن حزم وحكى عليه الاجماع . وقيل قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث سنين

اخرج البخاري وغيره من اصحاب السنن عن انس ابن مالك رضي الله عنه ما حدث بـه أبـوذر رضي الله عنه من حادثة الاسراء والمعـراج التي فرضت فيهـا الصلوات الخمس والحـديث يطول بنا ذكره والاحاديث في هذا الباب كثيرة كلها تدل على ان فرضية الصلوات الخمس كانت ليلة الاسراء والغرض الآن ذكر فرض الصلاة فلنكتف بذلك

بقي علينا ان نعلم كيفية الصلاة المفروضة . اخرج البخاري عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر . فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وفي رواية عن عروة بن الزبير عنهـا فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ففرضت اربعا . وهذه الرواية اخرجها البخاري ايضا في كتاب الهجرة . وفي مسند الامام احمد بنفس الاسناد عنها رضي الله عنها انها قالت الا المغرب فانهـا كانت ثلاثا . وروى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت فرضت صـلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لانها وتر النهـار ومثل ذلك ما اخرجه مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة

وقد وردت النصوص الدالة على فرضية الصلاة قال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولم يبين القرءان صريحا اعداد الركعات وانما ذكر اوقاتها اجمالا قال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون قيل لابن عبـاس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في القرءان ؟ فقال نعم وتلا هذه الآية

وقد كانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح من باب اطلاق اسم البعض على الكل على طريقة المجاز المرسل يقولون سبح الغداة مثلا اي صلى الفجر والمعنى على هذا التفسير فصلوا لله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء وقوله وحين تصبحون صلاة الفجر وقوله وعشيا صلاة العصر وقوله وحين تظهرون صلاة الظهر والاظهر في الدلالة آية سورة الاسراء وهي قوله تعالى : أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرءان الفجر ان قرءان الفجر كان مشهودا فهذه الآية جامعة لاوقات الصلوات الخمس مع الامر بالصلاة صريحا في قوله أقم الصلاة وقوله لدلوك الشمس يقال دلكت الشمس اذا زالت عن كبد السماء او اصفرت او غربت (١) فعلى المعنى الاول وقعت الاشارة الى صلاة الظهر والعصر والمغرب وهذا ما ذهب اليه الجمهور ويمكن ان يقال المعنى اقم الصلاة لكل دلوك والاول هو الزوال والثاني هو الاصفرار والثالث هو الغروب ولكل منها صلاة الدلوك الاول تصلى عنده الظهر والدلوك الثاني تصلى عنده العصر والدلوك الثالث تصلى عنده المغرب وعلى هذا الوجه تكون الآية دلت بطريق الاشارة على العدد وانها خمس صلوات .

واما على قول الجمهور فان المراد بدلوك الشمس زوالها وهو وقت ممتد نهايته ما ورد في قوله الى غسق الليل وهذا الوقت الممتد تقع فيه الصلوات الثلاث الظهر والعصر والمغرب فيكون اشير به اليها ثم قال تعالى الى غسق الليل وهو الظلمة وقد اشير به الى العشاء . وقوله وقرءان الفجر اشير به الى صلاة الفجر .

واما قوله تعالى : اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل فهي اشد اجمالا من الآية المتقدمة في الدلالة على الوقت .

وقد استنبط بعض العلماء العدد وحصرها في الخمس في القرءان من ذكر الوسطى في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين .

وقد بين صلى الله عليه وسلم ما نزل به القرءان للناس قولا وفعلا ونقل عنه بالتواتر العملي وعليه اجماع المسلمين من كافة الفرق والمذاهب كاجماعهم على ان جاحد الصلوات الخمس المنكر لها لا يعد من المسلمين .

وقد اهتم القرءان والسنة بشان الصلاة حتى قال العلماء ليس من المأمورات ما اهتمت به الشريعة كالصلاة فقد بين القرءان افتراضها على اساليب شتى فتارة بالامر الصريح كالآيات التي مرت بنا . وتارة بالثناء على فاعلها والذم لتاركها كالآيات التي نحن بصدد تفسيرها .

ومن تتبع نصوص الشريعة من الآيات والاحاديث تجلى له وما على الصبح قناع ان الصلاة عماد الاسلام والفرقان بين الهدى والضلال والفلاح والخسران المبين فقد اخرج الامام احمد رضي الله

(١) لسان العرب

عنه قال صلى الله عليه وسلم : من ترك الصلاة متعمدا فقد بريء من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم . وسئل صلى الله عليه وسلم اي الايمان افضل فقال الصلاة لمواقيتها . متفق عليه عند اصحاب السنن .

وفي البخاري ومسلم : من حديث ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه ؟ قالوا لا . قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن .

واخرج ابوداود والنسائي وابن ماجة ان رسول الله قال : خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة . ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة

ولما كانت الصلاة اعظم عبادة يعبد بها العبد ربه ويناجي فيها مولاه نبه الشارع على اكمل الحالات التي يكون بها العبد من اهل الفلاح وهي حالة الخشوع الى المعبود سبحانه في الصلاة والخشوع التذلل مع الخوف وسكون الجوارح روى ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خاشعون في صلاتهم خائفون ساكنون وفسره مجاهد بانه غض البصر عما حوله وخفض الجناح وهذا المعنى لازم للاول وعن قتادة في وصف الخشوع هو تنكيس الراس في الصلاة قال علماؤنا ومن السنة ان ينكس المصلي راسه وينظر الى موضع سجوده حال القيام والى حجره حال الجلوس وترك الالتفات يمينا وشمالا . وروي عن ابي الدرداء في تفسيره للخشوع انه اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الاهتمام . بان يكون مستحضرا قلبه لمناجات ربه لا يشتغل بما سواه ولا يلتفت فان الالتفات من الشيطان كما ورد في الصحيح فيما يرويه البخاري وابو داود والنسائي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن ابويها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد .

فالالتفات والعبث بالثياب واعضاء البدن ونحو ذلك ينافي الخشوع . وعد في الكشاف من الخشوع ان يستعمل المصلي الآداب ويتوقى كف الثوب والتمطي والتثاؤب والتغميض وفرقعة الاصابع وتشبيكها وقلب الحصى .

وقد اختلف العلماء في الخشوع هل محله القلب او الجوارح وقد علمت مما مر انه يشمل القلب والجوارح معا فيخشع بقلبه وتظهر آثاره على الجوارح .

وبالجملة فان الخشوع في الصلاة الذي مدح الله اهله هو حالة تذلل وانقطاع لله تعالى وعدم التفات القلب فيها الى شيء من احوال الدنيا سوى تعظيم الباري بالخنوع والتلاوة والتسبيح والتكبير وكل ما هو من افعال الطاعة والعبادة والخضوع له بجميع الجوارح لا يشتغل بغير افعال الصلاة فالذين هم في صلاتهم خاشعون هم الخائفون في حالة عبادتهم من هيبة الله تعالى المتذللون لجبروته الخاضعون لجلاله قد الزموا ابصارهم مساجدهم حال قيامهم بين يدي معبودهم لا يسترسلون مع حديث النفس ومن كان هذا حاله في صلاته لا جرم ان يكون من اهل الفلاح اما اذا كان القلب غافلا فلا ريب ان العبادة تكون شبحا بلا روح وذلك مدعاة لعدم القبول والمؤمن انما يسعى وراء قبول اعماله لينال رضا الله ومثوبته وذلك هو الفلاح الموعود به ولنعم اجر العاملين الخاشعين .

محمد الشاذلي بن القاضي

اعجاز القرآن

(٢)

بقلم العالم النحرير الشيخ
علي النيفر المدرس بالجامع الاعظم

(النوع الثاني) من انواع اعجاز القرآن وهو اخباره بالمغيبات مما كان او يكون اما اخباره عن الامور المستقبلة فتقع كما اخبر به فذلك من حديث البحر ولنورد جملة منها فمن ذلك قوله تعالى (آلم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده) كادت هذه الآية الكريمة أن تعين السنة التي تكون فيها غلبة الروم على الفرس وذلك بالتعبير فيها بالسنين وبقوله في بضع سنين والبضع نهايته التسع ثم اكد ذلك بقوله وعد الله لا يخلف الله وعده مما لا يصدر الا عن يقين تام ولقد قاتل الروم الفرس عند راس سبع سنين من غلبة الفرس عليهم فغلبوهم كما وعدت به الآية الشريفة وكان ذلك سنة سبع من الهجرة فكان سببا في اسلام عدد من الناس غير قليل .

ومن الآي التي من هذا القبيل قوله تعالى مسليا نبيه عليه الصلاة والسلام على فراق مكة حين اشتاق اليها وهو في طريق هجرته الى المدينة بالجحفة (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) فرده الى مكة يوم الفتح ومن هذا القبيل قوله تعلى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين) فكان كذلك .

ومنها قوله جل من قائل (انا كفيناك المستهزئين) وهم نفر من قريش كانوا بمكة ينفرون الناس من الاسلام ويؤذونه عليه الصلاة والسلام وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية اصحابه حين نزلت عليه فأهلك الله المستهزئين في اقرب وقت كما بشرت به الآية .

ومن هذا القبيل ايضا قوله تعلى متحديا بالقرآن (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) وقع ما اخبرت به الآية الكريمة فلم يحاولوا الاتيان بسورة من مثله كما قال تعلى (ولن تفعلوا) .

ومن هذا القبيل أيضا قوله سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) لم يقدر احد من اعداء الاسلام ان يغير ولو حرفا واحدا من القرآن بل ولا حركة منه على شدة حرصهم على ذلك .

ومن هذا القبيل ايضا قوله تعلى (والله يعصمك من الناس)

فلقد عاش صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما عاش فلم يقدر احد من اعدائه على قهره على كثرتهم وتهالكهم على ذلك حربا وسلما مع تعريض نفسه في القتال للاخطار فقد كان عليه الصلاة والسلام يتقدم اصحابه في مواقع النزال كما روي عن بعضهم أنه قال كنا اذا احمرت الحدق نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يوم حنين على بغلة كما قيل لا تصلح للطلب ولا تنفع للهرب وهو منفرد عن اصحابه ينادي باعلى صوته انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب والاعداء كثيرون ومع ذلك وقاه الله شرهم ورد كيدهم في نحورهم ولم يصب رسول الله باذى منهم ولله المنة ولقد جاءه اعرابي مرة وهو نائم فاخترط سيفه وقال من ينجيك مني فقال صلى الله عليه وسلم (الله) فوقع السيف من يد الاعرابي .

ومن الآيات المندرجة في هذا النوع قوله تعلى (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية فكان الامر كما قال اصدق القائلين اظهر الله دين الاسلام ومكنه في الارض واستخلف المسلمين فيها وملكهم اياها من اقصى المشرق الى اقصى المغرب مع ان المسلمين كانوا حين نزلت الآيتان قليلين مستضعفين .

وكذلك قوله تعلى (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا (الى آخر السورة لم ينتقل عليه الصلاة السلام الى الرفيق الاعلى الا بعد ان لم يبق موضع من بلاد العرب لم يدخله الاسلام هكذا ذكر بعضهم في وجه اعجاز هذه السورة من ناحية الاخبار بالغيب وهناك وجه آخر في اعجازها من هذه الناحية ايضا وهو انها ناعية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما فهمه منها جمهور الصحابة رضي الله عنهم كما روي ذلك في الصحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهم اجمعين .

ومثل هذه الآي في الاخبار عما سيقع قوله تعلى (وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) فكانت لهم يوم بدر . وكذلك قوله سبحانه (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) وقوله (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) وقوله (وعدكم الله مغانم كثيرة) وقوله (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب) وقوله (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وقع جميع ذلك كما اخبر به القرآن الكريم .

واما اخباره عن امور قد كانت ولكن لا يعلم بعضها الا الراسخون في العلم من اهل الكتاب فضلا عن جميعها فكاخباره عن قصص الانبياء وبدء الخلق وما حرم اسرائيل على نفسه وقصة لقمان وابنه ونحو ذلك وقد ورد ان اليهود قالوا للمشركين سلوه عن الروح وعن ذي القرنين وعن اهل الكهف فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان سكت عن الروح واجاب عن الاخيرين فهو نبي مرسل كما نجده في التوراة فنزلت سورة الكهف على الوجه الذي يشهد بنبوته صلى الله عليه وسلم وفي جميع ذلك لم يؤثر عن احد من اهل الكتاب تكذيبه او الرد عليه بل ما منهم الا من

سكت مذعنا فمن مؤمن به سبقت له السعادة ومن حسود مصر حقت عليه كلمة العذاب ولهذا استشهد الله على صدق رسوله باهل الكتاب قال تعلى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)

ولا يخفى ان صدور هذه الاخبار عنه عليه الصلاة والسلام معجز خارج عن المعتاد اذ أن ذلك لا يعلمه الا الاحاد من الراسخين في العلم من اهل الكتاب ممن انقطع لدراستها وانى لمن نشأ في امية وبين فئة جاهلية معرفة ذلك مع عدم مخالطته لمن يعرفه ونشأته بينهم وحاله معلومة من جميعهم كما قال تعلى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) وكما قال سبحانه بعد ذكر قصة نوح عليه السلام (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) الى غير ذلك من الآي التي تحوم حول هذا المعنى فهذا وجه من وجوه اعجاز القرآن الكريم

(الثالث) من وجوه اعجازه جمعه لما يرتبط بمصالح الدين والدنيا على وجه يفوت مقدور البشر عادة.

نزل القرآن المبين لارشاد الناس اجمعين وهدايتهم الى ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم ولذا كان جامعا بين تصحيح العقيدة والرد على المخالفين وتشريع العبادات والنظم العامة من سياسية واجتماعية ومدنية كل ذلك باسلوب حكيم ونظر منتج غير عقيم .

ويمكن ارجاع ما اشتمل عليه القرآن من ذلك الى اربعة اصول هي العقائد ومكارم الاخلاق والعبادات والمعاملات .

اما القسم الاول وهو العقائد من آلهيات ونبويات فقد بينها القرآن أتم بيان ورد على منكريها باوضح برهان حتى قال الامام فخر الدين الرازي - وناهيك به - قد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايتهـا تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن - وقال شيخ الاسلام ابن تيميه - احسن الادلة العقلية الادلة التي بينها القرآن وارشد اليها الرسول فينبغي ان يعرف ان اجل الادلة العقلية واكملها وافضلها مأخوذ عن الرسول .

ولنذكر مثلا من ذلك قال تعالى في الاستدلال على وجود الصانع (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) المعنى والله اعلم أوجدوا من غير موجد ام هم اوجدوا انفسهم كلا الاحتمالين باطل فكان الحق انهم وجدوا بايجاد صانع حكيم .

وقال تعلى في الاستدلال على وحدانية الخالق (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وقال ايضا (وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ففي الآيتين برهـان على وحدانية الصانع وانه يجب له التفرد بالخلق والتصرف في العالم كله وعدم الشريك .

وقال سبحانه في الاستدلال على ان الرسول انما يكون بشرا لا ملكا (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) وذلك ان المشركين طلبوا ان يكون الرسول ملكا ليتيقنوا رسالته فأخبروا في هذه الآية بان ذلك لا يقع لانه ان كان مع بقائه على صورته الملكية لم تمكنهم رؤيته ولا الاجتماع به والاخذ عنه وان تمثل لهم في صورة رجل التبس عليهم الامر وظنوه بشرا فلم يؤمنوا به .

وقال جل اسمه مستدلا على صحة البعث (قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم) الى غيرها من الآي الواردة في هذا المعنى .

واما القسم الثاني) وهو مكارم الاخلاق فقد اشتمل القرآن على اصولها وهي على ما ذكره علماء الاخلاق ثلاثة الحكمة والعفة والشجاعة وعلى فروعها من الصبر والحلم والبذل والوفاء والصدق والعدل وغيرها حاثا عليها اتم حث محرضا عليها اكمل تحريض حيث كانت دعامة العمران واساس سعادة بني الانسان بها تحيى الامم وتسير في المنهج الواضح الامم .

فمن الآي الحاثة على الحكمة المنوهة بشان العلم قوله تعلى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) وقوله سبحانه (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) وقوله (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله (وقل رب زدني علما) وقوله (ن والقلم وما يسطرون) وفي قسمه تعلى بآلة العلم وهي القلم شرف للعلم عظيم وفي قصة آدم واسجاد الملائكة له حين علمه الله الاسماء تنويه بشان العلم ما بعده تنويه .

ومن الآي الحاثة على العفة قوله سبحانه (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن) الآية .

ومن الآي الحاثة على الشجاعة المادية قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) الآية وقوله ايضا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) الآية ومنها في الحث على الشجاعة الادبية وهي الصراحة قوله تعلى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) .

ومن الآيات الواردة في الصبر قوله تعلى (واصبر وما صبرك الا بالله) وقوله (ان الله مع الصابرين) وقوله (ولئن صبرتم هو خير للصابرين) وقوله (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

ومنها في الحث على الحلم وسعة الصدر قوله (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقوله (خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) .

ومنها في الحث على البذل قوله تعلى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) الآية وقوله ايضا (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) الآية.

ومنها في الحث على الصدق قوله تعلى (ان الله مع الذين صدقوا والذين هم متقون) وقوله ايضا (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) .

ومنها في الحث على العدل قوله (ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) وقوله (ان الله يحب المقسطين) وقوله (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) .

ومنها في الحث على الوفاء بالعهد قوله (واوفوا بالعهد اذا عاهدتم) وقوله (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) وفي التحاشي عن الخيانة ولو لمن لاحت منه بوادرها قوله جل من قائل (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين .

ومنها في الحث على اداء الامانة ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل .

ومنها في التواضع ولا تمش في الارض مرحا .

ومنها في المداراة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم .

ومنها في الصفح والعفو فمن عفا واصلح فاجره على الله .

ومن الآي الواردة في الاخلاق غير ما تقدم قوله تعلى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا الآية .

وفيما اوردناه كفاية فليس غرضنا من ذكرها جمع الآيـات القرآنية الواردة في الاخلاق فهي اكثر من ذلك بكثير ولا شرح معانيها وتفصيل ما تشير اليه فذلك لا يسعه هذا المقال .

واما (القسم الثالث) وهو العبـادات فالقرآن تكفل ببيانهـا ايضا من صلاة وصوم وزكاة وحج والآيات الواردة فيها معلومة للجميع لا نطيل بذكرها .

واما (القسم الرابع) وهو المعاملات فقد اوضحها القرآن ايضا وقعد قواعدها واصل اصولها وهي على ضربين ما يتعلق بعلاقة المرء مع اهله وذوي قرابته من آباء وبنين وغيرهم وما يتعلق بعلاقته مع سائر الناس .

فالضرب الاول وهو علاقة المرء مع اهله بينها القرآن بتشريـع احكام النكاح والطلاق والنفقة وحسن المعاشرة كقوله في تشريع النكاح (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع (وقوله في الاقتصار على الواحدة اذا خشي عدم العدل بين الزوجات (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) وقوله في النفقة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) وقوله في الحقوق الواجب مراعاتها من كل من الزوجين للاخر (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقوله في حسن المعاشرة (وعاشروهن بالمعروف) وقوله في الطلاق (فامساك بمعروف او تسريح باحسان) وقوله ايضا (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) الى أشباه ذلك من احكام الزوجية .

واما علاقة المرء مع ذوي قرابته فقد بينتها آيات قرآنية مثل قوله تعلى في شان الابوين ووصيناه لانسان بوالديه حسنا الآية وقوله واخفض لهـا جنـاح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهمـا كما ربياني صغيرا وفي هذه الآية اشارة الى حقوق الابنـاء على الآباء من التربية وقوله في شان ارضاع الابناء والوالدات يرضن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقوله في الوفاء بحقوق ذي القرابة العامة وآت ذا القربى حقه وقوله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

واما الضرب الثاني وهو علاقة المرء مع سائر بني جنسه فقد بينها القرآن ايضا كوجوب النصح

للمسلمين بل للناس عامة بواسطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعلى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وقال ايضا كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وكاعتبار المسلم سائر المسلمين اخوة له والاصلاح بينهم اذا تشاجروا قال تعلى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم) وقال ايضا (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) وقال (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) وكالاتحاد وعدم الخروج عن جامعة المسلمين قال تعلى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .

وكالتشاور وعدم الاستبداد بالرأي المأخوذ من قوله تعلى وامرهم شورى بينهم ومن قوله وشاورهم في الامر .

الى غير ذلك من الآي التي نظمت علاقات المسلم مع المسلم بل ومع سائر البشر مما يطول ذكره اجمالا فضلا عن تفصيله .

ومن علاقات المرء مع بني جسه ما ينشأ عن عقود المعاملات وقد اقامها القرآن على اساس متين مثل اباحته للبيع وتحريمه للربا في آية واحل الله البيع وحرم الربا وايجابه الوفاء بالعقود في آية يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ومثل تحريمه الميسر في آية يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ومثل تشريعه القصاص في الدماء قال تعلى ولكم في القصاص حياة والحد في الجنايات كالسرقة في آية السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الآية والحرابة في آية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية فهذه القوانين الالهية الحكيمة المشتمل عليها القرآن يستحيل عادة على رجل واحد مهما بلغ في غزارة العلم وكمال العقل ان يحيط بها او بجملة منها فكيف بمن يعلم الجميع احوال نشأته واحوال بيئته من كونه نشا اميا لا يقرا ولا يكتب ولا خالط من اهل العلم احدا وكونه ظهر في امة امية لا تقرأ ولا تكتب ايضا فلا جرم كان ذلك معجزة من معجزات القرآن .

كفاك بالعلم في الامي معجزة ... في الجاهلية والتاديب في اليتم

(يتبع) علي النيفر



الحديث الشريف

باب الرجاء مع الخوف

من صحيح البخاري

وقال سفيان ما في القرءان ءاية أشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن عمرو عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار

❀ الشـرح ❀

بقلم العلامة الشيخ الصادق المحرزي
الاستاذ بجامع الزيتونة الاعظم

الرجاء تعلق القلب بامر محبوب من جلب نفع او دفع ضرر متوقع الحصول والخوف فزع القلب من مكروه يناله او محبوب يفوته وهما في حق الله تعلى اصلان من اصول الدين يبتني عليهما المدح والذم في العاجلة والثواب والعقاب في الآجلة وقد جاء في التحريض عليهما ءاثار كثيرة فمما ورد في الرجاء من التنزيل (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وفي النهي عن القنوط (لا تقنطوا من رحمة الله) ومن الاثر قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وروي ان سيدنا عليا كرم الله وجهه قال لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وورد في الخوف من التنزيل ترغيبا (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله تعلى (وإياي افارهبون) وفي الحديث القدسي يقول الله تعلى لا اجمع لعبدي بين خوفين وامنين فان خافني في الدنيا أمنته يوم القيامه وان امنني في الدنيا اخفته يوم القيامه . وقال بعض العارفين من علامات السعادة ان تطيع وتخاف ان لا تقبل ومن علامات الشقاء ان تعصي الله وترجو ان تنجو ويؤيده ما اخرجه

ابن ماجة بسنده عن عائشة رضي الله تعلى عنها انها قالت قلت يارسول الله الذين ياتون ما اتوا وقلوبهم وجلة أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يقبل وقال ابو علي الروذباوي الخوف والرجاء كجناحي طائر اذا استويا صعد بهما من وفقه الله الى اعلى الدرجات ولا يخفى ان استحباب الجمع بين الخوف والرجاء منظور فيه لحالة الصحة واما في حالة المرض والاشراف على الموت فيستحب تغليب الرجاء لحديث لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله. وقد تعرض ابو حامد الغزالي في الاحياء للكشف عن حقيقة الرجاء فذكر ان الامر المحبوب الذي يرتاح القلب بانتظاره لابد ان تكون له اسباب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك الانتظار مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن له اسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لان انتظاره حينئذ من غير سبب يتوقع به الحصول فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس بداخل تحت اختياره مما يصرف الله به عن عبده القواطع والمفسدات وذلك فضل من الله. ثم قال فالعبد اذا بث بذر الايمان في القلب وسقاه بماء الطاعات وطهره عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعلى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان رجاؤه حقيقيا ممدوحا في نفسه وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات وترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق منهمكا في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور. قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة. وفي الحديث الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وقال تعلى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا) وبما تقرر من كلام حجة الاسلام الغزالي من ان الرجاء المحمود انما يحصل بتعاطي اسبابه التي جاء بها الكتاب العزيز والسنة النبوية يتضح وجه جمع البخاري رحمه الله تعلى في باب الرجاء مع الخوف بين حديث الرحمة المقتضي للرجاء والاثر المنقول عن سفيان المقتضي للخوف من عدم تعاطي اسبابه. وصدر بالاثر لتقدم السبب عن المسبب فقال : وقال سفيان : ما في القرآن ءاية اشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) اختلف في المراد بسفيان المنقول عنه الاثر فقيل الثوري كما في العيني وقيل ابن عيينة كما في القسطلاني وتوقف ابن حجر في المراد منهما. وكلاهما من ايمة الهدى قال في الفتح روى ابن ابي حاتم ان الآية نزلت في سبب خاص لما خرجه بسند حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء مالك بن الصيف وجماعة من احبار اليهود فقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم وتؤمن بما في التوراة وتشهد انها حق. قال بلى ولكنكم كتمتم منها ما امرتم ببيانه فانا ابرأ مما

احدثتموه. قالوا ونحن نتمسك بما في ايدينا من الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا بما جئت به. فانزل الله الآية الكريمة ارغاما لهم بانهم ليسوا على شيء من الحق والهدى حتى يقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشريعته. قال العيني وجه أشدية الآية على سفيان ما فيها من تكليف اهل الكتاب من العمل بكتابهم واحكام ما انزل على النبيء صلى الله عليه وسلم وهذا الحكم وهو وجوب العمل بالشريعة المحمدية كما يتناول اهل الكتاب يتناول المسلمين بالاحرى لنزولها على نبيهم صلى الله عليه وسلم واقامة الكتاب تكون باقامة جميع ما اتى به ولذا قال اشد ءاية نزلت على الاطلاق ثم قال العيني وقيل اخوف ءاية نزلت في القرءان العظيم قوله تعلى (من يعمل سوءا يجز به) قلت وقد خفف وطأتها على رسول الله صلى عليه وسلم بفضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه بما اخرجه الترمذي في سننه عن ابي بكر رضي الله عنه قال كنت عند النبيء صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابابكر الا اقرئك ءاية نزلت فقلت بلى يا رسول الله فاقرأنيها فلا اعلم الا اني وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطأت لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابابكر؟ قلت بابي انت وامي يارسول الله وأينا لم يعمل السوء وإنا لمجزوؤن بكل سوء عملناه فقال لا ورحمك الله يا ابابكر اما انت واصحابك المؤمنون فتجزون على ذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس عليكم ذنوب فان كل ما اصاب المسلم فهو كفارة له حتى الشوكة يشاكها واما غيركم فيجمع لهم ذلك ويجازون عليه يوم القيامة

واما حديث الباب فرواه البخاري رحمه الله تعلى بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة وفي رواية بها يتراحم الخلق حتى ان الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) مناسبة الحديث للترجمة بما اشتمل عليه من الوعد والوعيد المقتضيين للخوف والرجاء مع التنويه بشان رحمة الله وعظمتها المقصودة من الرجاء وهي في الاصل رقة وانعطاف تقتضي التفضل والاحسان ولما كانت بهذا المعنى مستحيلة على الله تعلى اختلف المتكلمون في تأويلها اذا نسبت اليه تعلى فاولها ابو الحسن الاشعري بارادة الاحسان فتكون راجعة لصفة الارادة وهي قديمة باتفاق الاشاعرة والماتوريدية وذهب القاضي ابوبكر البقلاني الى تأويلها بالاحسان فتكون من صفات الافعال وهي حادثة باتفاق لانها عبارة عن التعلق التنجيزي للقدرة وهو حادث عندهم وهذا الخلاف فيما لم تقم قرينة تعين الحمل على احد المعنيين والاوجب العمل على ما قامت عليه فمما دلت القرينة فيه على الحمل على صفة الفعل حديث الباب لتسلط الخلق عليها ومما قامت فيه القرينة على الحمل على الارادة قوله تعلى (ربنا وسعت كل شيء رحمة

١٥

وعلما) فهذا ظاهر في الارادة لان الوسع عبارة عن عموم التعلق ويدل على ذلك ايضا اقترانها بالعلم وان وسع الرحمة كوسع العلم وهذا ظاهر في الارادة واما ما يتعين فيه مذهب القاضي فقوله تعلى (هذا رحمة من ربي) اشارة الى السد وهو احسان من الله لا ارادة الله القديمة ويحتمل الامرين قوله تعلى (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) فيحتمل الرحمن الرحيم انه يريد الاحسان او الاحسان نفسه قال الشهاب القرافي في الفرق السادس والعشرين بعد المائة بعد ما ذكر المذهبين ان مذهب الشيخ الاشعري اقرب من مذهب القاضي رضي الله عنهما وسبب ذلك ان الرحمة التي وضع اللفظ بازائها وهو حقيقة فيها هي رقة الطبع واذا رق طبعك على انسان فان هذه الرقة في القلب يلزمها امران احدهما ارادة الاحسان اليه والثاني الاحسان نفسه فهما لازمان للرقة التي هي حقيقة اللفظ والتعبير بلفظ الملزوم عن اللازم مجاز عرفي شائع غير ان ارادة الاحسان الزم للرقة فان كل من رحمته واحسنت اليه فقد اردت الاحسان اليه وقد تريد الاحسان وتقصر قدرتك عن الاحسان اليه فالارادة اكثر لزوما للرقة واذا قويت العلاقة كان مجازها ارجح فمجاز الشيخ ارجح لانه الارادة ثم قال القرافي وعلى مذهب الشيخ يتخرج ما افتى به ابن يونس من فقهاء المالكية بان الحالف برضى الله ورحمته وسخطه اذا حنث تلزمه كفارة واحدة لانه كرر الحلف بصفة واحدة وهي الارادة واما على قول ابي بكر الباقلاني فلا تلزمه الكفارة لانه حلف بصفة حادثة وينهى عن الحلف بالحادث . وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب (فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) مثالان من باب الترغيب والترهيب على وزان قوله تعلى (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) اتي بهما على سبيل الفرض والتقدير بدليل لو الامتناعية قال الكرماني ولو ها هنا لامتناع الجواب لامتناع الشرط على حد قولك لو جئتني لاكرمتك فهي في الحديث تدل على انتفاء عدم اياس الكافر من الجنة لعدم علمه بكل الذي عند الله من الرحمة وبذلك يحصل له الاياس من دخول الجنة كما ان المؤمن لا يعلم بكل الذي عند الله من العذاب ويأمن من النار ثم قال وليست لو لانتفاء الشرط لانتفاء الجواب كما قال به ابن الحاجب وخرج عليه قوله تعلى (لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا) قال ابن هشام في المغني دعاه لذلك ان الآية مسوقة لنفي التعدد في الآلهة بامتناع الفساد لا ان امتناع الفساد لامتناع تعدد الآلهة لانه خلاف المفهوم من سياق امثال هاته الآية ولانه لا يلزم من انتفاء الآلهة انتفاء الفساد لجواز وقوع ذلك وان لم يكن تعدد في الآلهة لان المراد بالفساد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز ان يفعله الاله الواحد سبحانه . ووفق سعد الدين التفتزاني بين القولين بان للو استعماليين الدلالة على ان علة انتفاء الثاني في الخارج هي انتفاء الاول من غير التفات الى الاستدلال ولا ان علة العلم بانتفاء الثاني ما هي حتى يرد عليه بحث ابن الحاجب

بل النفي مقرر في ذاته وهـذا في اللغة والثاني الاستدلال فيكون العلم بنفي الثاني علة العلم بنفي الاول من غير التفات الى ان علة الانتفاء في الخارج ما هي وهـذا اصطلاح المناطقة وعليه الآية ثم قال السعد فالتبس على ابن الحاجب احد الاستعمالين بالآخر. اه قال الشيخ الامير والحق ان الثاني لغوي ايضا كما افاده السيد والا لما اتى عليه القرءان. ونقل الشهاب القرافي عن ابن عصفور استعمالا ثالثا للو هو ان تكون لمجرد الربط كإن وخرج عليه قوله تعلى (لو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) وقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وتسمى لو هذه بالصهيبية والحديث عليها شهير طويل الذيل واحسنه ما نقل عن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ان الشيء الواحد قد يكون له سببان فلا يلزم من عدم احدهما عدمه وكذا هنا الناس في الغالب انما لم يعصوا لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا فاخبر صلى الله عليه وسلم ان صهيبا اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية الخوف والاجلال. قال ابن حجر واستشكل التركيب في قوله صلى الله عليه وسلم بكل الذي عند الله من الرحمة بان كلا اذا اضيفت الى الموصول كانت لعموم الاجزاء لا لعمـوم الافراد والغـرض من سياق الحديث تعميم الافراد واجيب بانه وقع في بعض طرقه ان الرحمة قسمت مائة جزء فالتعميم لعمـوم الاجزاء في الاصل او ان الاجـزاء نزلت منزلة الافراد مبالغة في الرحمة قال تعالى (وسعت رحمتي كل شيء) قال العلامة جار الله وللتنبيه على عظمة رحمة الله تميزت الرحمة عن صفـاته الزكية باسمين من اسمـائه الحسنى ولاسم الرحمـن خصوصية وهي عدم جـواز اطـلاقه على غير الـذات العلية كاسم الجـلالة وقد سمى مسيلمة نفسه برحمن اليمامة عنادا وكفرا فلم يشتهر به واشتهر بمسيلمة الكذاب لعنه الله ثم قال والرحمن ابلـغ من الرحيم لان زيادة المبنى تـدل على زيادة المعنى ومما طن اذني من ملح العرب انهم يسمون محملا من محامل الحجاز بالشقدف وهو محمل خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت لرجل منهـم في طريق الطائف ما اسم هـذا المحمل مشيرا للمحمل العراقي فقال اليس اسمه الشقدف فقلت بلى هذا اثقل فقال فاسمه شقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى . فان قيل اذا كان اسم الرحمن ابلغ من اسم الرحيم فلم قدم في البسملة اسم الرحمن وكان القياس الترقي من الادنى الى الاعلى ؟ قلت يجاب عن هذا بانه لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه باسم الرحيم كالتتمة ليتناول ما خفي ودق منها فهـو من باب الحيطة والاستيعاب لدقائق الرحمة. وبما تقرر في الاذهان يظهر وجه التعليق على اسم الرحمن في حديث سيد ولد عدنان كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

ختم به درس الحديث في المدرسة المرادية في ١٨ رمضان سنة ١٣٥٩

فضل الاكتساب

ومذمة السؤال

للشارع عناية تامة بالعمل وحث على الاشتغال وترك البطالة ومن اصرح ما جاء في ذلك حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لان يأخذ احدكم حبله فيحطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه ففي هذا الحديث استنهاض لهمم المؤمنين ان يتصفحوا وجوه الرزق ويتلمسوا اسبابه أيا كان نوعها بلغت مبلغ الشرف والمكانة أم هبطت الى مواطن الضعة والمهانة كان ياخذ من أحوجته الضرورة حبلا يذهب به الى الغابة يجمع الوقود والحطب ويرجع به على ظهره ليبيعه ويأكل بثمنه حتى يقيم اود صلبه ويحفظ ماء وجهه من مذلة السؤال والاستجداء خصوصا وهو لا يعلم ما تفضي اليه مغبة السؤال ايعطى فيطمئن خاطره ام يحرم ويرفض طلبه فيندى جبين انسانيته وتنثلم عزة التوحيد التي فطره الله عليها .

وقد امر الله تعلى بالسعي والعمل لاكتساب الرزق ويسر كل انسان لما خلق له وربط الاسباب بمسبباتها وضمن الرزق مع ذلك لكل حي حيث يقول (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) وقال جل شانه (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) .

فالرزق مضمون وطريقه العمل والتشمير والسعي له في طريق التحصيل . قال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب في مروءته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به

ولا تظن ان الاهتمام بامر المعاش وتحصيل الكسب قد يلهي الانسان عن امر آخرته ويشغله عن عبادة ربه حق عبادته فان العاقل الكيس من جمع بين الحسنيين ووفق بين العملين فيكون عمله لمعاشه ذريعة لمعاده والاعمال بالنيات كما جاء في حديث سيد الكائنات .

واعلم ان الناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين ولا يقوى عليه الا عباد الله المخلصون والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين بحيث لم يجعل الدنيا كل همه ولكنه استعملها مطية لاخراه وهو من تأدب في طلبها بآداب الشريعة ووقف عند الحدود المسنونة الصحيحة .

واعلم ان طرق المعاش والكسب مفتوحة في وجه المسلم فعليه بتعاطي ما يتسر له منها ولا يركن الى البطالة ويكون من هؤلاء الكسالى العجزة الذين اصبحوا عالة على المجتمع الانساني وسبة الصقت به حيث آثروا الراحة على العمل والقعود على الكسب الحلال يتجولون في الطرقات يسألون الناس الحافا مخلدين الى الضعة والمسكنة فعملهم هذا الى التحيل اقرب منه الى التسول وطلب النوال .

وان الارض مع اتساع رقعتها وكثرة الاعمال التي عليها لم تضق بان يعنى كل امرىء من هؤلاء بعمل يكون فيه مرتزقه ومنه مورده اللهم الا ان يكون عاجزا لا تواتيه صحته فان هذا يستحق الرحمة والاحسان

واصول المكاسب كما قال الماوردي الزراعة والتجارة والصناعة وهل التجارة اطيب كما هو مذهب الشافعي او الزراعة اطيب لانها اقرب الى التوكل هو اختيار القسطلاني . وفي صحيح البخاري عن المقدام بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ما أكل أحد طعاما قط خير من ان يأكل من عمل يده فالصواب ما نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عمل اليد فان كان زراعا فهو اطيب المكاسب وافضلها لانه عمل بيده ولان فيه توكلا ولان فيه نفعا عاما للمسلمين والدواب وقال في الروضة حديث المقدام هذا صريح في ترجيح الزراعة والصنعة لكونهما من عمل يده ولكن الزراعة افضلهما لعموم النفع بها للآدمي وغيره وعموم الحاجة اليها .

وان هذا الدين الحنيف ليحض على العمل ويحث على الجد ولو مع سعة وغنية .

فان نبيء الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده فقد كان عليه السلام يعمل الدروع الحربية لياكل من ثمنها وذلك مع اتساع ملكه الى ابعد حد وتسخير الجبال والطير له وحسبك قوله جل من قائل (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) ومع هذا الملك الواسع والسلطان العريض لم ينزع الى الراحة وكان في مكنته ان ينال من مشتهيات نفسة عيشا رغدا بلا شقاء ولا تعب .

بل كان جميع الانبياء يعملون لكسب رزقهم .

وكان اصحاب رسول الله (صلعم) يتجرون في البحر والبر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم ولو تتبعت الآثار والاخبار في هذا الباب لوجدتها اكثر من ان تحصى من ذلك ما رواه احمد من حديث رافع بن خديج قيل يا رسول الله اي الكسب اطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور) وما رواه احمد ايضا من حديث ابي هريرة (خير الكسب كسب العامل اذا نصح) وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة فقال (التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده) كما ورد في ذم السؤال واستجداء الناس ما لا يحصى كثرة من الاخبار والآثار من ذلك ما رواه الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري (ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر) وقال حديث

حسن صحيح وفي الخبر ان الله يحب المؤمن المحترف وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاكره ان أرى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي . وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه (ينادي مناد يوم القيامة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد) فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ولا ينجيك من ذلك الا الكسب والعمل والاتجار

واعلم ان المدنية الاسلامية تستثير الهمم نحو العمل لتبقي على المسلم عزته وكرامته التي فطره الله عليها ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والعزة لا تكون بالاستجداء والكسل بل بالجد والعمل والله تعالى خلق الخلق للحياة والعمل وامرهم بالسير في الارض والسعي فيها وعمارتها بما استطاعوا من قوة وما وهبهم من علم وحكمة ومن فهم ان مجرد الايمان كاف في تحقيق معنى العزة بدون عمل وجد متواصل فلم يدرك سنن الله الكونيه ولم يذق سر الاسلام قال تعالى اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وليس العمل في الاسلام قاصرا على التعبد واقامة الشعائر وليس العمل الديني هو عمل الانسان لنفسه وحدها فليس القصد ان نكتفي بصلاة وتسبيح انما امرنا بالعمل لربنا نعبده ولديننا ننصره ولاهلنا نصلهم ولامتنا نخدمها باستخدام قوانا الفكرية والبدنية في كل ما فيه نفع المجموع وان نستخرج خيرات الارض التي سخرها لنا . فعملنا لا يكون في المسجد وحده بل في المسجد والمصنع والمكتب والمعمل وكل مسلم يستطيع ان يعبد ربه وهو في وظيفته او صنعته متى راقب ربه قبل ان يراقب رؤساءه وادى واجبه كاملا مخلصا محسنا فيه والله كتب الاحسان على كل شيء واقل محترف يخشى الله في حرفته فلا يهمل فيها ولا يغش لا يقل ثوابا عن عابد متبتل . روي ان النبيء (صلعم) كان جالسا مع اصحابه يوما فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال النبيء (صلعم) لاتقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسالة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان .

وان في حياة رسول الله لادلة محسوسة على فضل العمل فلقد رعى الغنم في شبابه واشتغل بالتجارة وسافر وتنقل وهو دون العشرين وقد بلغ من تمجيد الاسلام للعمل ان رسول الله (صلعم) لما هاجر من مكة الى المدينة وكانت الهجرة وقتئذ افضل الاعمال واعظمها اجرا جاءه قوم يبايعونه على الهجرة بعد ان فتح مكة فقال الا لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد وعمل اي جهاد النفس وجهاد الشهوات والرذائل والمنكرات وعمل ينفع الاهل والدين فما بال الناس اخلدوا الى الراحة واطمأنوا للخمول ولا يستمعون لقول الرسول (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني)

الفتاوى والاحكام

الشهادة في الوقف بالتسامع

نقل العلامة المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي في كتابه تنقيح الفتاوى التونسية عن شيخه شيخ الاسلام في عصره الشيخ احمد كريم في مسالة الشهادة في الوقف بالتسامع ما نصه :

لا بد من تحرير امرين فيها ـ الاول ان يكون المشهود به الوقف بسند السماع لا السماع بانه وقف وكثيرا ما ترد الوثائق السماعية بهذا الوجه . وذلك ان غالب الموثقين في عصرنا يكتبون شهوده يشهدون بانهم لا زالوا يسمعون سماعا فاشيا مستفيضا على السنة الثقات من اهل العدل وغيرهم بان كذا وكذا (اي من الربع او العقار) وقف على كذا وكذا (اي فلان وفلانة الخ) وقد سمعت من بعض العصريين انه يكتفي بذلك لحمل الباء الاولى على السببية والثانية على التعدية ولا يخفى ما في ذلك من الاجمال لقيام الاحتمال .

الامر الثاني التفرقة بين الشرائط المصححة لاصل الوقف والزائدة على ذلك فمرادهم باصل الوقف في قولهم ان الشهادة بالتسامع يثبت بها اصل الوقف لا شرائطه كل ما يتوقف عليه اصل الوقف فتقبل فيه تلك الشهادة وما زاد على ذلك كاشتراط الواقف شروطا في وقفه كقوله للذكر مثل حظ الانثيين طبقة بعد طبقة ومن مات عن فرع قام فرعه مقامه الى غير ذلك فلا تقبل فيه تلك الشهادة بل ولا في اصل الوقف ان تضمنت ذلك كما هو بين واما بيان المصرف في الجملة فهو من اصل الوقف فتنبه وفي الحاوي للزاهدي في فصل الشهادة بالتسامع من كتاب الوقف تفصيل حسن ونصه :

لكن هنا تفصيل وذلك ان عمر الشاهد ان كان انقص من مدة الوقف فالحكم هكذا وان

ان الدعوة الى التواكل والخلود الى الراحة وترك السعي كانت هي السبب المباشر في التاخر والانحطاط وكره العمل واحتقار الحرف وعدم تقدير المهن كل ذلك أوجب مـا نحن فيه من الفقر والمهانة وليس ذلك من الاسلام فی شيء بل ان هذا الدين لا يكتفي بالحض على العمل واباحة طيبات الحياة بل يبيح التجمل والتزين فيقول قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . ويقول يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد

وبعد فما اجل هذا الدين وما اقبح الجهلة المتنطعين ورحمة الله على امرىء اخذ دينه من المنبع الصافي كتاب الله وسنة نبيه والسلام على من اتبع الهدى وتمسك بالعروة الوثقى .

محمد الهادي ابن القاضي

كان ازيد منها او مساويا لها فانما تقبل اذا لم يفسر شهادته بالتسامع . وكذا اذا كانت الدعوى بين وقفين جهة كل منهمـــا مغايرة للاخر وشهدوا على الاصل . ولـو شهدوا بالتسامع على شرط الوقف ان كان مذكورا حقيقة لا تقبل اجماعا لانه لا يشتهر كما يشتهر اصله وان كان مذكورا معنى بان وقف على ابناء فلان او بناته فانه في المعنى شرط صرف غلته الى ابنائه دون بناته او بناته دون ابنائه لا تقبل عند البعض لانها على الشرط وتقبل عند البعض لانها على الاصل والشرط المتضمن فيه لا يكون معتبرا وهو الصحيح اه كلام الزاهدي في الحاوي . وهذا من الحسن بمكان وبه تنقطـع مادة الافتعال بقدر الامكان اه كلام الشيخ احمد كريم وعلق عليـه ناقلـه الشيخ الشاذلي ابن القاضي بما نصه : وانـا اقول ذكر خير الدين الرمـلي في كتاب الشهادات من الفتاوى الخيرية في ضمن سؤال طويل انه اذا شهدا بانهما سمعا سماعا مستفيضا واخبرهما الثقات وغيرهم ممن لا يمكن تواطؤهم على الكذب ان هذا المحدود وقف فلان فهل بهذه الشهادة يثبت الوقف او لا يثبت لكونهم شهدوا بانهـم سمعوا انه وقف ولم يشهدوا بانه وقف لانهـم سمعوا ؟

واجاب بانه لا يثبت الوقف بهذه الشهادة بلا شبهة باجماع علمائنا لانها ليست بشهادة على الوقف بالسماع وانما هي شهادة على السماع بالوقف والشهادة على الوقف بالسماع ان يقول الشاهد اشهد به لاني سمعت من الناس او بسبب اني سمعت من الناس ونحوه . اه كلام الخيرية . وبه يتايد ما ذكره شيخنا من الامر الاول .

وقد نقل لي شيخنا العلامة الشيخ سيدي حسن عباس المفتي الحنفي : ان الذي كان يحمل الباء الاولى - في كلام الموثقين - على السببية والثانية على التعدية هو شيخ الاسلام شيخنا العلامة سيدي محمد معاوية رحمه الله تعالى . قال وقد انفصلنا في المجلس الشرعي بدار الشريعة مع شيخ الاسلام سيدي احمد بن الخوجه وكاهيه (في عصره) الشيخ سيدي احمد كريم والشيخ المفتي سيـدي محمد البارودي والشيخ سيدي محمد بيرم القاضي الحنفي على ان الوثائق القديمة المطبوعة اذا احتج بها وكان الشاهدان شهدا بالسماع انه وقف نقبلها حملا على مـا قاله شيخ الاسلام سيدي محمد معاوية للاضطرار الى قبولها . واما الوثائق الجديدة التي تقام عن إذن واحد من المجلس فلا نقبلها الا اذا شهد الشاهدان بانه وقف بسبب السماع . اه كلام الشيخ حسن عباس رحمه الله ثم اعلم ان الشهادة بالتسامع هي حجة عندنا معاشر الحنفية يفتك بها من يد الحائز وهو المدعى عليه الذي يدعي ان المدعى في حوزه وتصرفه .
قال شيخ الاسلام البيرمي الثاني في رسالته التي في الخط :

قال في البزازية ولما احتيج في الوقف الى ان يكون باقيا الى ممر الاعصار جوز الشهادة بالتسامع اه كلام البزازية فقوله : ولما احتيج في الوقف الى ان يكون باقيا جوز الشهادة بالتسامع فيه دليل على ان شهادة السماع ينتزع بها من يد الحائز عندنا . اه كلامه رحمه الله . والله الموفق للصواب

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

عادة تقبيل اليد

بالقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

كان المسلمون في القرون الاولى يحيون بعضهم بعضا بالمصافحة الواردة في السنة النبوية وهي ان يعقد المتصافحان يمينيهما واحدة مع الاخرى كانهما يتعاهدان على الصفاء والوفاء وهناك ساعة المغفرة التي يدعو بها المسلم لاخيه والله ولي القبول . وجوزوا تقبيل اليد عند البيعة فان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان من الستة الذين رجحهم عمر للخلافة لما احس بحضور اجله ليختاروا فيما بينهم واحدا منهم ليكون خليفة للمسلمين بعده فلما التحق عمر بربه تقدم عبد الرحمن لاصحابه المرجحين للخلافة معه وقال لهم ما معناه ان الخليفة واحد ونحن ستة فليتنازل منا ثلاثة لفائدة الثلاثة الباقين ليسهل الاختيار وكان وجوه الصحابة واقفين بالباب فتنازل ثلاثة حسب اشارته لفائدة الثلاثة الآخرين وهم عثمان وعلي وعبد الرحمن نفسه واذ ذاك قال عبد الرحمن لصاحبيه انا ايضا غير قابل للخلافة ثم سارر عثمان بقوله اذا اخترت لها عليا فهل انت مبايع له فاجابه عثمان نعم وقال بعد ذلك سرا لعلي اذا اخترت لها عثمان فهل انت مبايع له فاجاب علي نعم وعندها التفت عبد الرحمن لعثمان وقال له ابسط يدك لابايعك ياعثمان وتقدم نحوه وبايعه واقتدى به علي فوجوه الصحابة الحاضرين وتمت بذلك التدبير الحكيم بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين (١)

ولما اصبحت مملكة الاسلام متلاوحة الاطراف بكثرة الفتوح اختلط المسلمون بسكان البلاد التي خضعت لحكمهم واقتبسوا من اخلاقهم واوضاعهم الشيء الكثير وبتدرجهم في مدارج الحضارة والترف والبذخ كانوا يتباعدون شيئا فشيئا عن سيرة السلف الصالح لان الحضارة جعلتهم بحكم الضرورة طبقات طبقة العلماء وطبقة سراة الامة وطبقة العامة والله فضل بعضكم على بعض ومن مزالق

(١) حكيت هذه الواقعة ذات يوم للعلامة الاستاذ شارليتي مدير المعارف بتونس سابقا ثم قيدوم مشيخة العلوم بباريس فاعجب بذكاء عبد الرحمن بن عوف وقال ان هذا التدبير الحكيم لو حصل في الزمن الحاضر لعد الناس صاحبه من اعظم أهل السياسة واقدرهم على حل المشاكل الخطيرة

الحضارة عجب الانسان بنفسه وحبه الامارة ولو على الحجارة كما في المثل المعروف وكان لبلاد فارس ذات التمدن القديم بعد دخولها في الاسلام التاثير العميق في اخلاق العرب وهم نشؤوا على الفطرة والبساطة وفي الحديث يولد المرء على الفطرة فأبواه ينصرانه او يهودانه او يمجسانه

ومعلوم ان الناس طبقات كما قدمنا واهل الرعيل الاول في هذا المقام هم الامراء والوزراء واهل العلم . والشرع لا يمنع تقبيل اليد في احوال ثلاثة يد الملك العادل ويد العالم العامل من تلميذه ويد الوالد من ولده ولكن هذه المستثنيات تناولها التدليس بتطاول ايدي غيرهم وبسطها للتقبيل وعمت هذه العادة بلادنا في القرون الاخيرة فصار تقبيل اليد حقا على التابع نحو متبوعه وصار المامور الكبير لا يتحاشى عن بسط يده للمامورين الذين حوله وهؤلاء بدورهم يقبل ايديهم من حولهم من اهل قراباتهم ومن لفيف الناس الذين تدعوهم الحاجة للاختلاط بهم وبلغ الحال بعض الوزراء خلال القرن الماضي لقبول تقبيل يده من عموم ماموري وزارته كل صباح كانه ولي الامر بالذات وبهذا الصنيع اقتدى عموم المتوظفين فكان لكل مأمور مخزني قسم من الاعوان وكثير من العامة لا يتخلفون عن تقبيل يده اينما كان ولو في الطريق والعامة يتبعون بعضهم بعضا ان خيرا فخير وان شرا فشر ناهيك ان كبير الخصيان البلاط او بدار الوزير كان في الزمن الماضي يجلس بدوره صباح كل يوم على كرسي بسقيف سراية سيده فياتي لتقبيل يده بقية الطواشيه وزمرة العبيد الملحقين بخدمة المكان (١) .

---

(١) هؤلاء الخصيان كان لهم شان في عهد الدور القديم فلقد وقع بيدي امر صدر من الخصي سرور اغة الخزندار على عهد المولى محمود باي في ولاية عريفة بدار المبعدين المحكوم عليهم بالنفي وعبارة هذا الامر تضحك الثكلى لذلك اثرت نقلها هنا بحروفها تفكهة للقراء واتماما للمقصود مما نحن بصدده قال الخصي المشار اليه :

الحمد لله كتبنا امرنا هذا على بركة الله تعلى وحسن عونه وتوفيقه بيد سي (كذا) سعادة عتيقة محبنا الحاج عثمان اننا اوليناها على بركة الله تعلى وحسن عونه وتوفيقه عريفة دار نفي لتنظر على ذكورها واناثها وكبارها وصغارها كلهما لنظرهما (كذا) من جميع امورهما وشئونهما وكافة اسبابهما (كذا) العرفية كذلك العادية وكل ذلك تفضلا منا اليها كتفضل سيدنا علينا بامره المطاع الواجب اليه الاتباع فعلى الواقف على امرنا هذا ان يعمل بمقتضاه ولا يخالف سبيله ورفعنا يد من كانت قبلها وبحرمتها وعدم الجسارة عليه (كذا) ولا تقاس بما يقاس به غيرها والسلام من الفقير الى ربه الغني سرور اغا خزنادار عفى الله عنه امين في ١ اشرف الربيعين ١٢٣٦ اه بحروفه وتحريفه مذيلا بطابعه

هذا وبقدر تداعي هيكل الاخلاق الفاضلة بين الناس تكاثر يومئذ تفشي النقائص والعيوب في الاوساط التونسية فكان اغلب النـاس لا يشعر لا تغتفر في نظر الشرع بل وفي نظر اهل الاذواق السليمة ايضا وكان من حسن الحظ وزهـاء الطالع انتباه المشير محمد الصادق باي لتلك الحـالة تسعى لتداركها اثر صعـوده للعرش الحسيني وجعل ترتيبا لضبط قواعد التحية بين اهل الدولة وبين الناس وحصر التحية بتقبيل اليد في شخص الامير الجالس على الكرسي الحسيني ومما تضمنه هـذا الترتيب قوله : ان التحية بتقبيل اليد للتعظيم من خـواص الملوك عرفا وقد توسع الناس فيها مع ءالنا وغيرهم من رجال دولتنا توسعا ادى الى سئآمة وتعطيل وغير ذلك فحجرنا ذلك عن غير المذكورين اعلاه (هم الملك وولي العهد حـال خروجه بالمحلة والوالد من ولده) كائنا من كان تحجيرا حكميا ولا عذر بعد هذا المنع لمن خالفه بمديده للتقبيل او قبل يد غيره واجـلال اصحاب الرتب والمناصب ومعرفة الادنى بحقوق من فوقه باق على حاله والآداب الانسانية لا تمس بهذا الامر بل يزيدهـا قوة اه

ولما صدر هذا الترتيب عمم سمو الباي نشره بتونس وبالآفاق وحذر العمال من مخالفته لما اشتهر وان بعض عمال البوادي كانوا يقبلون من منظوريهم ليس تقبيل ايديهم فقط بل وحتى ارجلهم وبعث سموه بنص هذا الترتيب لاهل المجلس الشرعي لاجراء العمـل بمقتضاه في دار الشريعة (١) واكد الوصـاية لمشايخ المدينه والربضين بان يسهروا على تنفيذه بين الناس (٢) الا ان الناس انتبهوا رغم ذلك من سباتهم العميق بفضـل الاصلاحات الصادقية الكثيرة التي منها تاسيس المدرسة الصادقية وضبط احوال التعليم بجامع الزيتونة على يد المصلح الكبير الوزير

(١) لما اتصل اهل المجلس الشرعي بالامر العلي القاضي بمنع تقبيل اليد قرؤوه وتدبروا معانيه واجابوا عنه سمو الباي بلسان شيخ الاسلام بالمكتوب الآتي نص عبارته :

الدولة الشامخة الصادقية المحمدية العريق في الملك اصلها الكامل بغايات المفاخر وصلها المنتشر ذكرها المرفوع قدرها لا زالت بالنصر محفوفة وبجميع المحاسن موصوفة اما بعد سلام يؤدى به من التعظيم واجبها ويكافي مالها من الرفعة ويناسبها فالمنهي الى الحضرة السامية انـه اجتمـع بدار الشريعة اهل مجلسهـا لتلقي الكتاب الملكي المتعلق بقانون التحية ومقابلته بما يتعين من الاطلاع المصحوب بالاجلال اولا والامتثال له والعمل به ثانيا ووقعت الاحاطة بمضمونه والتواصي بالجري على ما امر به واشاعته والله تعلى نسال ان يبقي مولانا في سماء المعالي بدرا طالعا وفي أفق المكارم فجرا ساطعا والسلام من الداعي لمولانا الفقير الى رحمة ربه محمد بيرم لطف الله تعلى به وكتب في غرة ذي الحجة من عام ٧٦ اهـ

(٢) سمعت من بعض ثقـاة المعمرين الماضين ان الاناث من العبيد المستخدمات بمطبخ بعض الاكابر من اهل المخزن كن يقبلن يد سيدتهن يوم العيد ويقبلن عضائد باب بيتها في بقية ايام العام نعوذ بالله من هذا الجهل المركب .

خير الدين بحيث صار تقبيل اليد مما لا يتجاهر به عشاقه ولا يقبلونه ممن دونهم الا في خفاء . بقي بمحفوظي ان المؤدب الذي كان يعلمنا القرءان بالمدرسة الصادقية لما يتقدم له التلاميذ لتقبيل يده يبسطها لهم ويقول لهم في ءان واحد السماح السماح مكررا تبرئـة لذمته من لوم متوقع واتفق ذات يوم ان الوزير محمد خزندار (١) فتح بابه لقبول التهاني بعيد الفطر فوفد عليه المتوظفون والاعيان وكان في جملتهم المرحوم السيد حسن ابن القائد احمد (٢) فلما دخل بسقيف الدار الوزيرية تلقاه معين الوزير وبر به واجلسه بقاعة الانتظار ودخل بعده زائر ءاخر من اعيان التونسيين ففعل المعين معه كذلك واجلسه حذوه وجاء ثالث ورابع فتلقاهما كذلك بالرحب والقبول فاعجب السيد حسن بكمال تربية المعين المشار اليه وسأل جليسه من هو هذا الرجل الحسن التربية فاجابه صاحبه بقوله هو فلان وهو مستكمل الصفات الحسنة كما قلتم لا يعتوره الا كونه ليس اصيل الحاضرة التونسية فابتدره السيد حسن هازئا به وقائلا له نعم انـه ليس له عراقة في المجد التونسي كحضرة الوزير الذي جئتم لتقبيل يـده فبهت الذي كفر .

ويلوح ان تقبيل اليد ما زال امره في تقاصر الى هذا الزمان لان الخاصة وهم اهل العلم واهل المخزن أعرضوا عنه في غير الاحوال الاستثنائية والعامة لا مبدأ لهم اللهم الا التطور السريع والاقتداء بالخاصة اما ترى ان اهل الشبيبة من طبقة العامة صاروا يتجولون بالطرقات مكشوفي الرؤوس اقتداء بابناء سراة الامة بحيث يعسر عليك التمييز اليـوم بين الشاب المسلم وبين الشـاب الاروباوي او الشاب اليهودي

بقيت حالة وحيدة في تقبيل اليد ليس في وسع القانون جرها للخضوع والخنوع لحكمه وهي حالة تقبيل يد المحبوب من حبيبه فهـذه الحالة الشاذة خاضعة فقط لسلطان الوجدان والوجدان من اعمال القلوب والقلب احد الاصغرين والآخر هو ترجمانه واستغفر الله لي ولصاحب المجلة ولقرائها الاكرمين وتعميم الدعاء من مظنات الاجابة والحمد لله بدءا ونهاية محمد بن الخوجه

---

(١) اصله يوناني من جزيرة ساقص جيء به صغير السن من مسقط راسه فامتلكه الـوزير شاكير صاحب الطابع واحسن تربيته ولم يلبث حتى ظهرت نجابتـه وصدقه وامانته فاخذ يتدرج في مدارج المعالي بالبلاط الملوكي على عهد المولى حسين باي الثاني واخلافه بكرسي الملك الى ان بلغ لدرجة الوزارة فباشر كل الوزارات واحدة بعـد الاخرى عدا وزارة القلم واشتهر بلقب خزنـدار اكتسابا من سيده شاكير لا مباشرة لهذه الخطة وكان من اهل الجد والكد والعمل حسن السلوك ثقة امينا في تصرفاته اكتفت به الدولة في سفارات عدة شرقا وغربا تشرف بمصاهرة ءال البيت اهل النسب الزكي واوصى بدفنه في مقابرهم توفي رحمه الله سنة ١٣٠٦ بعد ان باشر الخدمة في ست دول حسينية وتولى الوزارة الكبرى مرتين .

(٢) اصله من البيوت العريقة في المجد بالجزائر مسقط راسه وفيها تزوج بابنة الداي مصطفى باشا وهزته ارياح الاقدار لتونس في أواخر الدولة الصادقية ولم يلبث حتى انخرط في سلك متوظفيها الى ان صار وكيلا لاوقاف المدرسة الصادقية في سنة ١٣٠٣ ثم عاملا على حلق الـوادي في سنة ١٣١٠ وكان رحمـه الله سيدا كريما شهما هماما ابي النفس صادق اللهجة يجهر بالقول ولا يخشى ملامة توفي عن نحو ثمانين سنة خلال عام ١٣١٤ .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

النفطي

هو ابو عبد الله محمد بن خلف الله النفطي ولي قضاء الجماعة بعد ابن عبد الرفيع .

قال الزركشي في تاريخه (صحيفة ٨٨) : وفي السنة المذكورة (٧٦٦) مات قاضي الجماعة الفقيه عمر بن عبد الرفيع فوقع الكلام في مجلس السلطان في تقديم قاض وحضر المجلس امام الجامع الشيخ ابن عرفة وقال بعض الناس جرت العادة ان قاضي الانكحة يولى القضاء وكان اذ ذاك قاضي الانكحة الشيخ ابن حيدرة فقال الشيخ ابن عرفة : الله يوفق الناس في خلقه فالاولى تقديم ابن القطان من اهل سوسة وقال السلطان : ما ناتي به من القرى حتى تكون تونس قد خلت ممن يصلح وامر بتقديم محمد بن خلف الله النفطي اه .

ويظهر ان السلطان قال هذه الكلمة لتخف بها كفة ميزان ابن القطان التي كان الشيخ ابن عرفة يعمل بالنية الصالحة لترجيحها ، وانما وقع اختيار السلطان على ابن خلف الله النفطي ليد عنده حفظها له .

قال الزركشي في تاريخه (صحيفة ٨٨) : وكان « اي ابن خلف الله » قد نزع اليه « اي الى السلطان » من بلده نفطة مغاضبا لمقدمها عبد الله بن علي بن الخلف فرعى له السلطان نزوعه اليه ثم ولاه قود العساكر الى الجريد وحربهم فكان له فيها عناء واستبد بعده مرات بجباياتهم يبعثون بها الى السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بعسكره اه .

وفي هذا من العبرة ان من اهل العلم في القرون الخالية من تستكفي به الحكومة في مهمات شئونها السياسية . وبهذا كان لصاحب الترجمة المكانة من قلب السلطان ، حتى اذكى ذلك نار العداوة في قلب الحاجب احمد بن ابراهيم المالقي لصاحب الترجمة وتربص به الدوائر حتى قتله خنقا في محبسه قال الزركشي في تاريخه « صحيفة ٨٩ » : وكان ابن المالقي يغص بمكانه « اي ابن خلف الله » عند السلطان ولم يزل في نفسه منه الى ان هلك السلطان وتقبض عليه كما سيذكر اه .

وقال عند الكلام على دولة الامير خالد ابن الامير ابراهيم الذي بويع في رجب سنة ٧٧٠ « صحيفة ٩٠ » ما نصه : واستبد عليه « اي الامير خالد » منصور عتيقه وابن المالقي فلم يكن له



القصيدة التي قالها الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني في تهنئة الامير عند حلوله بقصر مرناق عام ١٣٠٧ وبالمولد الشريف في فصل الربيع .

حث الخطى ان المنى مرناق … روض له تتزايد الاشواق
اين الامير يحل في قصر الهنا … يعلو سناه البيرق الخفاق
فكأنما الباشا بقصر هنائه … والراية الحمراء والاشراق
بدر بهالته ونجم طالع … من فوقه فتبارك الخلاق
ان جئته سبق المكارم بشره … وذووا المكارم بشرهم سباق
ملك شريف والوزير قبيله … يا حبذا الاخلاق والاعراق
ذي دولة الاشراف ابرك دولة … في تونس ولها التقى مصداق
ما ان توفر ذا بتونس سابقا … او حدثت بنظيره الآفاق
فالشام لا تعلو فضائل تونس … ونسوغها او يدعيه عراق

حكم عليهما وكان اول ما افتتحا به امرهما ان تقبضا على قاضي الجماعة حينئذ محمد بن خلف الله من طبقة الفقهاء لما كان في نفس المالقي منه واودعاه السجن مع محمد بن رافع المتقدم الذكر ثم ان المالقي بعث اليهما من داخلهما في الفرار من الاعتقال حتى دبره معه وظهر على امرهما فقتلهما في محبسهما خنقا اه وعند الله تجتمع الخصوم والله عزيز ذو انتقام وولي بعد الشهيد ابن خلف الله النفطي .

ابن حيدرة

وهو قاضي الانكحة ابو العباس احمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حيدرة وصفه الزركشي بالفقيه العالم الحافظ وقال في شانه الشيخ بابا في نيل الابتهاج ما نصه : الامام الحافظ احد الاوتاد بتونس معاصر لابن عرفة وقع بينهما نزاع في مسائل اخذ عن ابن السلام وغيره قال تلميذه ابو الطيب بن علوان : سيدنا الامام العلامة قاضي الجماعة الحافظ لمذهب مالك من التبديل والتحريف فارس علم التجريح والتعديل القائم على الاحكام المحررة اه ومن هذه التحلية يستفاد انه كان محدثا فقيها توفي « على ما في تاريخ الزركشي » آخر شهر ربيع الانور سنة ٧٧٨ ودفن في الزلاج .

(يتبع)

انى لهم عزمات احمد باينا | تخشى شدائد بأسه الطراق
ملك كما بدر السّما ببروجه | متنقل رحالة افاق
فشتاؤه قصر الاسود بحمة | قصر الهنا لربيعه مشتاق
في مايه شهر الزهور ونفحها | مرسىٔ الظريف لصيفه تواق
فيها قصور التاج والصفصاف وال | ـبحر الذي لنسيمه استنشاق
ان حل في احد الثلاث انارة | وسواه ان غاب الامير محاق
فتراه من فرط الاسى متخشعا | وانتابه ما لا يطاق فراق
واذا الامير يعود يبسم ثغره | وتقام في افراحه الاجواق
وتسابق السكان يسدون الهنا | وتطاولت لقدومه الاعناق

❀ ❀ ❀

فاسرع لمرناق بباب علاوة | فلنحوه سير الرفاق سباق
وبرادس قف وانظر الفحص النظيـ | ـر عليه من حلل الجمال رواق
يغريك بالتعريس في تلك الربى | الحسن والاشراف والايناق
وامرر بقنطرة ليحيى من بني | حفص بناها العطف والارفاق(١)
غاصت دعائمها بمليان وما | في غيرها سبع القرون تطاق
وطريق سعد بعدها فال لما | يرجى واحمد للرجا حقاق
فاذا وصلت القصر صل تشكرا | في مسجد تأسيسه ميثاق
وهنا بلغت القصد فالثم راحة | منها ينال الامن والاعلاق

❀ ❀ ❀

فالجند حول قصره متحفز | ما دمدمت برعودها الابواق
فمتى نووا للحرب ليلا غارة | طارت لتصبيح العداة عتاق
ان شئتها للسبق فهي بروقه | او للحاق كما علمت براق
ربطت جياد الخيل في اسطبله | وبروزها في عرضها افراق
نبتت بورتان قوائم سبقها | وشرابها سراط او ملاق
منها المدنر والكميت واشقر | او اشهب او ادهم دعاق
فهي النمور شقائق وسلافة | وصحائف والعنبر العباق

(١) قنطرة وادي مليان برادس بناها ابو زكريا يحيى الحفصي باني جامع القصبة في اواسط النصف الاول من القرن السابع بمال وجده في متروك متسول .

او اخضر كالسنغال حجا لـه — بثـلاثـة ويمينـه اطـلاق
وأحم ممزوج السواد بصفـرة — عبد الحبوش الى الملـوك يساق
وارش من نقط القطاة اهابـه — لكنه من قبلهـا حـلاق
او ازرق كالاوتـراي صفيرها — وصهيله عنـد اللقـآ بعـاق
او اغبـر من خلف احوى سابق — سرحان عمرة فر منه عناق
او اصفر والعرف ليـل اوضيـا — يعزى لقوم جدهم اسحاق(١)
وترى الحماري كالسراب مضببا — فمشيبه زمن الشباب مـذاق
ومن النوادر مثـل افرس محسن — يلفى هنـاك الابلـق اللقـلاق
لله هاتيـك الجيـاد متـونـهـا — عـز وراكبها بهـا طـراق
واميرنا راس الفوارس ان علا — صهواتها فهـو الكمي المزاق

❀ ❀ ❀

فانظر لذي القرنين شرقا حارسا — ووقوفه الاعجـاب والاشفـاق
والغاب غربا والـربى بجنوبـه — دون السهيـلي للـرياض رواق
فكان ذا القرنين يعرض جيشه — والقصد منـه الهنـد والقفجاق
لا يرتضي الوقواق من اتباعه — وفتوحه ياجـوج والوقـواق
بحر من الشجر المبارك زاخـر — وحدائق تجـلى بهـا الاحـداق
عجبا لبحر وهـو ظـل وارف — نسجت سماه الـورق والاوراق
والطير فيـه بلابـل وفواخت — الحانهـا المـزمـوم والعشـاق
ففخارهـا بصفيرهـا وتفوقـها — بصباغها الميمون والشقراق
فتباينت لغـة ولـونـا مثلمـا — حجاج مكة جاوة وقـزاق
والروض يبدو منه سرو شاهق — اقـزام قصـر بينهم عمـلاق
من طول قامته وقصر ثيـابه — عريت كما بلقيس منه السـاق
خرنوبه خضر القباب وظلـه — من نـوع مغروس الثمار طباق
ياتين اوزرة وقتـك ظلالـه — الطعم شهد واللبـوس رقـاق
من نوعه لون يزيـد نسبـة — عبـد تبسم ثغـره البـراق
او صقلبـي في سواد قميصه — تبدو جوانب جسمه ومـراق
والتونسي الفاقع الاذكى شفا — لا يعتري معـه الحلوق حلاق

---

(١) الفرس الاصفر يقال له اليهودي

ومبكر الانتاج بثير بادن حلي فقصر بالضعيف لحاق
غمزت عليه العين وهي كحيلة وهزت بـه الاعناب وهي رحاق
فزهى من التفاح ورد خدوده وهو الفاوذج قد حوته حقاق
والخوخ يظهر قانيا ومعصفرا كاس من الشاه اللذيذ دهاق
والمشمش العذب النسيب لشاشه جسم لطيف والقلوب دقاق
رمانه الاقداح افعم سمكها الـ ـياقوت بين فصوصه الاوراق
والبردقال مذهب ومفضض للدوح اجمل زينة وخلاق
واتى الكمثرى للجماعة قائلا سر الحياة من النهود يذاق
ثمرات مرناق لدولة احمد تجبى واورثها لـه مرناق
مرناق سهل اخذ قرطاجنة وبـه نسمى ذلك الرستاق
(١) جازاه حسان به عن سلمه والسلم تعرف نفعه الحذاق
فهواؤه للنازلين بـه شفا والماء فيـه مروق رقراق
(٢) عاش الصقلي في القرون ثلاثة ما مسه في روضه ازهاق
في إبـر ويعيش احمد مثلـه في صحة ونواله دفاق
جازاه خالقه بما يرضى فقد أرضى الخلائق والجزاء وفاق
ملك سواء في العدالة عنده ولدى المبرة قائد ويماق
وله قناطير المزايا وهي من كل الملوك مثاقل واواق
وحضوره بسراية الملك التي في تونس تحيى بها الارماق
فتحفه وزراؤه انصاره والآل والاجناد والاوجاق
فهم الكماة شهامة وسياسة ودماؤهم لفدا الامير تراق
للشعر والتاليف من حسناتكم والى صحائف ما يذاع نفاق
شحنت بتخليد الثناء وزانها شعر بـه في مدحكم اغراق
تتلقف الايدي نفائس ماحوت وصدورها لصدورهم ترياق
لما رفعتم شأنها وبما حوت كي يستفيد القطر والآفاق
في مثلها والعلم والعيش الهني ببلادنا يتحتم الانفاق

---

(١) حسان ابن النعمان فاتح قرطاجنة سنة ٧٨

(٢) الصقلي عاش فوق ثلاثمائة عام وبلغ اليه المهدي ابن تومرت في قرية ابـر بمرناق تحية الامام الغزالي ببغداد وذلك في اوائل القرن السادس

بالعلم والتهذيب والتدريب في … هذي الحياة يكون الاستحقاق
لكنها من غير سعد للفتى … فجميع ما ياتي به اخفاق
ابناء تونس ما لهم حول ولا … قوى ولا جاه ولا ارزاق
فكانما السبع العجاف سنيهم … والعيش صعب والشراب زعاق
ما كان اجدرهم برحمة ربهم … حتى يعود الى الربوع فواق
فيدوم احمد منجدا حتى نرى … ظل الهناء وتعمر الاسواق
والعيش في رغد وأمن سابغ … ويذاد عن ساحاتنا الاقلاق
فامر بما يرضي الاله وقطرنا … فالناس عندكم لهم اطراق
ان الرغائب في الحياة كثيرة … والى معاليها النهى عشاق
فيهون ان طال الرجا لصعابها … وتاخر المسيور ليس يطاق
لكن لنا راى الامير وعزمه … فالمعضلات لرتقها فتاق
ما دام احمد والحياة طويلة … لا يختشى ببلادنا ارهاق
واذا تالق بارق ليصيبنا … بشظاه فهو الخلب الالاق
ياوارثا ملكا يخلد بيننا … لا يعتريه تصدع وشقاق
انت المحبب للقلوب سماحة … جذبتكم لصدورها الاعماق
قربت كاتب عرشكم ومؤرخا … لبلاطكم وبمدحكم نطاق
الحقتموه تعطفا بقصوركم … يا حبذا الانعام والالحاق
وامرتم والامر منكم نافذ … بمآرب يغدو بها الاغداق
وانيط بالهادي الوزير قضاؤها … سيف الامير ودرعه ونطاق
مدحي لكم كقريض شاعر ورغة … في جدكم فانحل عنه وثاق (١)
فاذ نظمنا في الجناب قصائدا … فبجيدنا من جودكم اطواق
ياخير من ملك البلاد بعدله … وقضى بهذا الاجماع والاطباق
هذا الهناء بمولد وربيعه … زمن الربيع اليكم ينساق
مرناق اشرق بالامير وحسبه … ان ارخوه باحمد اشراق

١٣٠٢ ٥٥

١٣٥٧

محمد المقداد الورتاني

(١) محمد الورغي المتوفى عام ١١٩٠ مدح محمد الرشيد ابي حسين بن علي تركي جد جد اميرنا احمد باشا باي بن علي بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد .